

أحبك أو
لا أحبك

محمود درويش

دار الصداقة للنشر الإلكتروني



حقوق النشر الإلكتروني والبث على شبكة الانترنت محفوظة لدار الصداقة

دار الصداقة للنشر الإلكتروني

دار متخصصة في النشر الإلكتروني على شبكة الانترنت

مركز الصداقة الثقافي - فلسطين

www.alsdaqqa.com

alsdaqqa2004@hotmail.com

safad27@hotmail.com

محمود درويش

أحبك أو لا أحبك

1972

الفهرس

أحبك أو لا أحبك
(1972)

مزامير

عائد إلى يافا

عازف الجيتار المتجول

تقاسيم على الماء

قتلوك في الوادي

مرة أخرى

أغنية إلى الريح الشمالية

أغنيات حب إلى أفريقيا

المدينة المحتلة

عابر سبيل

خطوات في الليل

سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا..

مزامير

-1-

أُحِبُّكَ أَوْ لَا أُحِبُّكَ -

أذهب، أترك خلفي عناوين قابلة للضياع .
و أنتظر العائدين، و هم يعرفون مواعيد موتي و يأتون .
أنت التي لا أُحِبُّكَ حين أُحِبُّكَ، أسوارُ بابلَ
ضيقةً في النهار، وعيناك واسعتان، ووجهك
منتشر في الشعاع.
كأنك لم تولدي بعد. لم نفترق بعد. لم تصرعيني .
وفوق سطوح الزوابع كلُّ كلام جميل، و كلُّ
لقاء وداع.
و ما بيننا غيرُ هذا اللقاء، و ما بيننا غير هذا الوداع .

أُحِبُّكَ أَوْ لَا أُحِبُّكَ -

يهربُ مني جبيني، و أشعر أنك لا شيء أو كل شيء .
وأنك قابلة للضياع .

أُريدك، أَوْ لَا أُريدك -

إنَّ خربير الجداول محترقٌ بدمي. ذات يوم أراك،
وأذهب .

و حاولتُ أن أستعيد صداقةَ أشياء غابت - نجحت
و حاولتُ أن أتباهى بعينين تتسعان لكل خريف -
نجحت - و حاولتُ أن أرسم اسماً يلائم زيتونةً
حول خاصرة - فتناسل كوكب .

أريدك حين أقول أنا لا أريدك . .
و جهي تساقط. نهرٌ بعيدٌ يذوبُ جسمي. و في السوق
باعوا دمي كالحساء المعبَّب.
أريدك، حين أقول أريدك -
يا امرأة وَضَعْتَ ساحلَ البحر الأبيض المتوسط في
حضانها. . و بساتين آسيا على كتفيها. . و كلَّ
السلاسل في قلبها .

أريدك، أو لا أريدك -
إنَّ خيرير الجداول. إنَّ حفيف الصنوبر. إنَّ هدير
البحار، وريش البلابل محترقٌ في دمي - ذات
يوم أراك، و أذهب.

أُغْنِيكَ، أو لا أُغْنِيكَ-
أسكتُ. أصرخُ. لا موعد للصراخ و لا موعد
للسكوت. و أنتِ الصراخ الوحيدُ و أنتِ السكوت
الوحيدُ .

تداخل جلدي بحنجرتي. تحت نافذتي تعبر الريح
لابسةً حرساً. والظلامُ بلا موعد. حين ينزل
عن راحتي الجنودُ
سأكتبُ شيئاً . .

و حين سينزل عن قدمي الجنود
سأمشي قليلاً . .

و حين سيسقط عن ناظري الجنود
أراك. . أرى قامتي من جديد .

أُغْنِيكَ، أو لا أُغْنِيكَ
أنتِ الغناء الوحيد، و أنتِ تُغْنِينِي لو سكتُ و أنتِ
السكوتُ الوحيد.

في الأيام الحاضره
أجد نفسي يابساً
كالشجر الطالع من الكتب
والرياح مسألة عابره.
أحارب. . أو لا أحارب؟
ليس هذا هو السؤال
المهم أن تكون حنجرتي قوية.
أعمل. . أو لا أعمل؟
ليس هذا هو السؤال
المهم أن أرتاح ثمانية أيام في الأسبوع
حسب توقيت فلسطين.
أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح،
دُلّني على مصدر الموت
أهو الخنجر. . أم الأكذوبة؟

لكني أذكر أن لي سقفاً مفقوداً
ينبغي أن أجلس في العراء.
ولكيلا أنسى نسيم بلادي النقي
ينبغي أن أتنفس السل
ولكي أذكر الغزال السابح في البياض
ينبغي أن أكون معتقلاً بالذكريات
ولكيلا أنسى أن جبالي عالية
ينبغي أن أسرح العاصفة من جبيني.
ولكي أحافظ على ملكية سمائي البعيدة
يجب ألا أملك حتى جلدي.

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني
لماذا أهرّبك من مطار إلى مطار
كالأفيون. .

والحبر الأبيض. .

وجهاز الإرسال؟!

أريد أن أرسم شكلك.

أيها المبعثر في الملفات والمفاجآت

أريد أن أرسم شكلك

أيها المتطاير على شظايا القذائف وأجنحة العصفير

أريد أن أرسم شكلك

فتخطف السماء يدي.

أريد أن أرسم شكلك

أيها المحاصر بين الريح والخنجر

أريد أن أرسم شكلك

كي أجد شكلي فيك

فأتهم بالتجريد وتزوير الوثائق والصور الشمسية

أيها المحاص بين الخنجر والريح.

ويا أيها الوطن المتكرر في الأغاني والمذابح

كيف تتحول إلى حلم وتسرق الدهشة

لنتركني حجراً.

لعلك أجمل في صيرورتك حلماً

لعلك أجمل. .!

لم يبق في تاريخ العرب

اسم أستعيره

لأتسلل به إلى نوافذك السريّة.

كل الأسماء السرية محتجزة
في مكاتب التجنيد المكيفة الهواء

فهل تقبل اسمي-

اسمي السري الوحيد-

محمود درويش؟

أما اسمي الأصلي

فقد انتزعته عن لحمي

سياط الشرطة وصنوبر الكرم

أيها الوطن المتكرر في المذابح والأغاني

دُلّني على مصدر الموت

أهو الخنجر

أم الأكذوبة؟!

-3-

يومَ كانتَ كلماتي
تربةً .

كنتَ صديقاً للسنابلِ.

يومَ كانتَ كلماتي
غضباً .

كنتَ صديقاً للسلاسلِ

يومَ كانتَ كلماتي
حجراً .

كنتَ صديقاً للجداولِ.

يومَ كانتَ كلماتي
ثورةً .

كنتَ صديقاً للزلازلِ

يومَ كانتَ كلماتي
حنظلاً .

كنتَ صديقَ المتفائلِ

حينَ صارتَ كلماتي
عسلاً .

غطَّى الذباب

شفتيَّ . !

تركت وجهي على منديل أُمي
و حملت الجبال في ذاكرتي
ورحلت . .

كانت المدينة تكسر أبوابها
و تتكاثر فوق سطوح السفن
كما تتكاثر الخضرة في البساتين التي تبتعد . .

إنني أُنكيء على الريح
يا أيتها القامة التي لا تنكسر
لماذا أترنح؟ . . وأنت جداري
و تصقلني المسافة

كما يصقل الموت الطازج وجوه العشاق
و كلما ازددت اقتراباً من المزامير
ازددت نحولاً . .

يا أيتها الممرات المحتشدة بالفراغ
مت أصل؟ . .

طوبى لمن يلتف بجلده !
طوبى لمن يتذكر اسمه الأصلي بلا أخطاء !
طوبى لمن يأكل تفاحة و لا يصبح شجرة .
طوبى لمن يشرب من مياه الأنهار البعيدة
و لا يصبح غيماً !
طوبى للصخرة التي تعشق عبوديتها
و لا تختار حرية الريح !

أكلما وقفتْ غيمةً على حائط
تطايرت إليها جبهتي كالنافذة المكسورة
ونسيت أني مرصود بالنسيان
وفقدت هويتي؟
إنني قابل للانفجار
كالبكرة . .

وكيف تتسع عيناى لمزيد من وجوه الأنبياء؟
إتبعيني أيتها البحار التى تسأم لونها
لأدلك على عصا أخرى .
إنني قابل للأعجوبة
كاشرق . .
أنا حالة تفتقد حالتها
حين تكف عن الصراخ
هل هل تسمون الرعد رعداً والبرق برقاً
إذا تحجّر الصوت، وهاجر اللون ؟!
أكلما خرجتُ من جلدي .
ومن شيخوخة المكان
تناسل الظل، وغطّاني . . ؟
أكلما أطلقتُ رياحي في الرماد
بحثاً عن جمرة منسية
لا أجد غير وجهي القديم الذي تركته
على منديل أُمي ؟
إنني قابل للموت
كالصاعقة . .

أشجار بلادي تحترف الخضرة
وأنا أحترف الذكرى.
والصوت الضائع في البرية
ينعطف نحو السماء، ويركع:
أيها الغيم ! هل تعود؟

لستُ حزيناً إلى هذا الحدّ
ولكن، لا يحبُّ العصافير
من لا يعرف الشجر.
ولا يعرف المفاجأة
من اعتاد الأكذوبة.
لستُ حزيناً إلى هذا الحد
ولكن، لا يعرف الكذب
من لم يعرف الخوف.

أنا لستُ منكمشاً إلى هذا الحد
ولكن الأشجار هي العالية.
سيداتي، آنساتي، سادتي
أنا أحبُّ العصافير
وأعرف الشجر
أنا أعرف المفاجأة
لأنني لم أعرف الأكذوبة.
أنا ساطع كالحيقة والخنجر
ولهذا أسألكم:
أطلقوا النار على العصافير

لكي أصفَ الشجر.
أوقفوا النيل
لكي أصف القاهرة.
أوقفوا دجلة أو الفرات أو كليهما
لكي أصف بغداد.
أوقفوا بردى
لكي أصف دمشق!
وأوقفوني عن الكلام
لكي أصف نفسي. .

ظلُّ النخيل، وآخرُ الشهداء، والمذيع يرسل صورةً
صوتيةً عن حالة الأحباب يومياً، أحبك في
الخريف وفي الشتاء.

لم تبك حيفاً. أنت تبكي. نحن لا ننسى تفاصيل
المدينة، كانت امرأة، وكانت أنبياء.

البحر! لا. البحر لم يدخل منازلنا بهذا الشكل.
خمسُ نوافذٍ غرقت، ولكن السطوح تعجُ
بالعشب المجفّف والسماء-

ودعتُ سجّاني. سعيداً كان بالحرب الرخيصة.
آه يا وطن القرنفل والمسدّس، لم تكن أُمّي معي.
وذهبتُ أبحثُ عنك خلف الوقت والمذيع. شكك
كان يكسرني. . ويتركني هباءً.

كان الكلام خطيئةً، والصمت منقياً. والفدائيون
أسرى توقعهم للموت في واديك. كان الموت تذكرة
الدخول إلى يدك. وكنت تحتقر البكاء.

والذكريات هوية الغرباء أحياناً، ولكن الزمان
يضاجع الذكرى وينجب لاجئين، ويرحل
الماضي، ويتركهم بلا ذكرى. أتذكرنا؟ وماذا
لو تقول : بلى!. أنذكر كل شيءٍ عنك؟ ماذا
لو نقول : بلى!. وفي الدنيا قضاةٌ يعبدون الأقوياء.

من كل نافذةٍ رميتُ الذكريات كقشرة البطيخ،
واستلقيتُ في الشَّفَق المحاذي للصنوبر (تلمع
الأمطار في بلد بعيد .تقطف الفتياتُ خوفاً غامضاً) . . .

والذكرياتُ تمرُّ مثل البرق في لحمي، وترجعني
إليك. . إليك. إنَّ الموت مثل الذكريات كلاهما
يمشي إليك. . إليك، يا وطناً تأرجح بين كلِّ
خناجر الدنيا وخاصرة السماء.

ظلَّ النخيل، وآخر الشهداء والمذيع يرسل صورة
صوتية عن حالة الأحباب يومياً - أحبك في
الخريف وفي الشتاء.

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتاً
قلوباً
سنابل
منحتني هويّه
جعلتني قضيه
حالة الاحتضار الطويلة.

كان يبدو لهم
أنني ميّت، والجريمة مرهونة بالأغاني
فمرؤوا، ولم يلفظوا اسمي.
دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات،
وابتعدوا.
(والبلاد التي كنت أحلم فيها - سوف
تبقى البلاد التي كنت أحلم فيها.)

كان عمراً قصيراً
وموتاً طويلاً
وأفقت قليلاً
وكتبت اسم أرضي على جثتي
وعلى بندقيّة

دفنوا جثتي في الملفات والانقلابات،
وابتعدوا.

(والبلاد التي كنتُ أحلمُ فيها –
سوف تبقى البلاد التي كنتُ أحلمُ فيها)

أنا في حالة الاحتضار الطويلة
سيدّ الحزن.
والدمع من كل عاشقة عربيّه
وتكاثر حولي المغنّون والخطباء
وعلى جثتي ينبتُ الشعر والزعماء
وكل سماء لغة الوطنيه
صفّقوا
صفّقوا
صفّقوا
ولتغنّ
حالة الاحتضار الطويلة

حالة الاحتضار الطويلة
أرجعتني إلى شارع في ضواحي الطفولة
أدخلتني بيوتاً... قلوباً... سنابل
جعلتني قضيه
منحتني هويّه
وتراث السلاسل.

إنني أتأهَّبُ للانفجار
على حافةِ الحلم
كما تتأهَّبُ الآبارُ اليابسة
للفيضان.

إنني أتأهَّبُ للانطلاق
على حافةِ الحلم
كما تتأهَّبُ الحجارة
في أعماقِ المناجمِ الميتة

إنني أتَحَفِّزُ للموت
على حافةِ الحلم
كما يتحفِّزُ الشهيد للموت
مرةً أخرى.

إنني أتأهَّبُ للصراخ
على حافةِ الحقيقة
كما يتأهَّبُ البركان
للانفجار.

-10-

الرحيل انتهى
من يغطي حبيبي
كيف مرّ المساء المفاجئ
كيف اختفى
في عيون حبيبي ؟
الرحيل انتهى.

أصدقائي يمرون عني.
أصدقائي يموتون فجأة

الرحيل انتهى
في جناح السنونو.
الرحيل ابتداء
حين فرّ السجين.

ما عرفت الضياع
في سرير السلاسل
كان لحمي مشاع
كسطوح المنازل
لعدوي، ولكن
ما عرفت الضياع
في سرير السلاسل

أصدقائي يمرّون عني
أصدقائي يموتون فجأة.

أداعب الزمن
كأمير يلاطف حصاناً.
والعبُّ بالأيام
كما يلعب الأطفال بالخرز الملون.

إني أحتفل اليوم
بمرور يوم على اليوم السابق
وأحتفل غداً
بمرور يومين على الأمس
وأشرب نخب الأمس
ذكرى اليوم القادم
وهكذا. . أواصل حياتي!

عندما سقطتُ عن ظهر حصاني الجامح
وانكسرت ذراعي
أوجعتني إصبعي التي جرحت
قبل ألف سنة!

وعندما أحييت ذكرى الأربعين لمدينة عكا
أجهشت في البكاء على غرناطة
وعندما التفَّ حبل المشنقة حول عنقي
كرهت أعدائي كثيراً
لأنهم سرقوا ربطة عنقي!

نرسم القدس:

إله يتعرّى فوق خطّ داكن الخضرة. أشباه عصافير تهاجر
وصليب واقف في الشارع الخلفي. شيء يشبه البرقوق
والدهشة من خلف القناطر
وفضاء واسع يمتدّ من عورة جنديّ إلى تاريخ شاعر.

نكتبُ القدس:

عاصمة الأمل الكاذب. . الثائر الهارب. . الكوكب
الغائب. اختلطت في أزقتها الكلمات الغريبة،
وانفصلت عن شفاه المغنين والباعة القبل
السابقة.

قام فيها جدار جديد لشوق جديد، وطروادة
التحقت بالسبايا. ولم تقل الصخرة الناطقة
لفظة تثبت العكس. طوبى لمن يجهض النار في
الصاعقة!.

ونغني القدس:

يا أطفال بابل
يا مواليد السلاسل
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون.
وقريباً تحصدون القمح من ذاكرة الماضي
قريباً يصبح الدمع سنابل.

آه، يا أطفال بابل
ستعودون إلى القدس قريباً
وقريباً تكبرون.
وقريباً
وقريباً
وقريباً...
هَلِّوْيا
هَلِّوْيا!

عائد إلى يافا

هو الآن يرحل عنا
ويسكن يافا
و يعرفها حجراً . حجراً
ول شيء يشبهه
والأغاني
تقلده . .
تقلد موعده الأخضر .
هو الآن يعلن صورته-
والصنوبر ينمو على مشنقة
هو الآن يعلن قصته-
والحرائق تنمو على زنبقة
هو الآن يرحل عنا
ليسكن يافا

ونحن بعيدون عنه،
ويافا حقائب منسية في مطار
ونحن بعيدون عنه،
لنا صور في جيوب النساء،
وفي صفحات الجرائد،
نعلن قصتنا كل يوم
لنكسب خصلة ريح وقبله نار .

ونحن بعيدون عنه،
نهيب به أن يسير إلى حتفه . .
نحن نكتب عنه بلاغاً فصيحاً

و شعراً حديثاً
ونمضي. . لنطرح أحزاننا في مقاهي الرصيف
ونحتجُ : ليس لنا في المدينة دار .
ونحن بعيدون عنه،
نعانق قاتله في الجنازة،
نسرق من جرحه القطن حتى نلمعَ
أوسمة الصبر و الانتظار

هو الآن يخرج منا
كما تخرج الأرض من ليلة ماطرة
وينهمر الدمُ منه
وينهمر الحبر منا .
وماذا نقول له؟ - تسقطُ الذاكرة
على خنجر؟
والمساء بعيدٌ عن الناصرة !
هو الآن يمضي إليه
قنابل أو . برتقاله
ولا يعرف الحدَّ بين الجريمة حين تصير حقوقاً
وبين العدالة
وليس يصدّق شيئاً
وليس يكذبُ شيئاً .
هو الآن يمضي. . و يتركنا
كي نعارض حيناً
ونقبل حيناً.
هو الآن يمضي شهيداً
ويتركنا لاجئينا !

ونام
ولم يلتجئ للخيام
ولم يلتجئ للموانئ

ولم يتكلم
ولم يتعلم
وما كان لاجيء
هي الأرض لاجئة في جراحه
وعاد بها .

لا تقولوا : أبانا الذي في السموات
قولوا : أخانا الذي أخذ الأرض منا
وعاد . .

هو الآن يُعدم
والآن يسكنُ يافا
و يعرفها حجراً.. حجراً
و لا شيء يشبهه
و الأغاني
تقلده .

تقلد موعده الأخضر

لترتفع الآن أذرعة اللاجئين
رياحاً . . رياحاً.
لتنشر الآن أسماؤهم
جراحاً . . جراحاً.
لتنفجر الآن أجسادهم
صباحاً . . صباحاً .
لتكتشف الأرض عنوانها
ونكتشف الأرض فينا.

عازف الجيتار المتجول

كان رسّاماً،
ولكنّ الصُّورَ
عادةً،
لا تفتح الأبواب
لا تكسرّها . .
لا تردُّ الحوت عن وجه القمر .

(يا صديقي، أيها الجيتار
خذني. .
للشبابيك البعيدة)

شاعراً كان،
ولكنّ القصيدة
يبست في الذاكرة
عندما شاهد يافا
فوق سطح الباخرة.

(يا صديقي، أيها الجيتار
خذني. .
للعيون العسليّة)

كان جنديًا،
ولكن شظية
طحنت ركبته اليسرى
فأعطوه هدية:
رتبة أخرى
ورجلاً خشبية . !

(يا صديقي، أيها الجيتار
خذني . .
للبلاد النائمة)

عازف الجيتار يأتي
في الليالي القادمة
عندما ينصرف الناس إلى جمع تواقع الجنود
عازف الجيتار يأتي
من مكان لا نراه
عندما يحتفل الناس بميلاد الشهود
عازف الجيتار يأتي
عارياً، أو بثياب داخلية .

عازف الجيتار يأتي
وأنا كدت أراه
وأشمّ الدم في أوتارهِ
وأنا كدت أراه
سائراً في كل شارع
كدت أن أسمعه

صارخاً ملء الزوابع

حدّقوا :

تلك رجل خشبيّة

واسمعوا :

تلك موسيقى اللحوم البشريّة.

تقاسيم على الماء

وراء الخريف البعيد
ثلاثون عاماً
وصورة ريتا
وسنبلة أكملت عمرها
في البريد .
وراء الخريف البعيد

أحبك يوماً . وأرحل
تطير العصافير باسمي
وتقتل
أحبك يوماً
وأبكي
لأنك أجمل من وجه أُمي
وأجمل
من الكلمات التي شردتني . .

على الماء وجهك .
ظل السماء
يخاصم ظلي
وتمنعي من محاذاة هذا المساء
نوافذ أهلي .
متى يذبل الورد في الذاكره ؟
متى يفرح الغرباء ؟
لكي أصف اللحظة العائمه

على الماء -
أسطورة أو سماء .

. وتحت السماء البعيدة
نسيّتك،
تنمو الزنايق
هناك . بلا سبب
والبنادق
هناك . بلا غضب
والقصيدة
هناك . . بلا شاعر
والسما البعيدة
تحاذي سطوح المنازل
وقبعة الشرطي
وتنسى جيبني . .

وتحت المساء الغريب
تعذبنا الأرض،
جسمك يقتبس البرتقال
ويهرب مني.
أحبك،
والأفق يأخذ شكل سؤال
أحبك،
والبحر أزرق
أحبك،
والعشب أخضر
أحبك - زنبق
أحبك - خنجر
أحبك يوماً
وأعرف تاريخ موتي

أُحِبُّكَ يَوْمًا
بدون انتحار
وراء الخريف البعيد
أمشط شعرك .
أرسم خصرك .
في الريح، نجماً . . وعيد . .
أُحِبُّكَ يَوْمًا
أُحِبُّكَ قرب الخريف البعيد
تمرُّ العصافير باسمي
طليقة
وباسمي - يمر النهار
حديقة.
وباسمك أحيا
أُحِبُّكَ يَوْمًا،
وأحيا . .
وراء الخريف البعيد.

قتلوك في الوادي

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن
أهديك ذاكرتي
ماذا تقول النار في وطني
ماذا تقول النار ؟
هل كنت عاشقتي
أم كنت عاصفة على أوتار ؟
وأنا غريب الدار في وطني
غريب الدار . .

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن
أهديك ذاكرتي
ماذا يقول البرق للسكين
ماذا يقول البرق
هل كنت في حطّين
رمزاً لموت الشرق
وأنا صلاح الدين
أم عبد الصليبيين ؟

أهديك ذاكرتي على مرأى من الزمن
أهديك ذاكرتي
ماذا تقول الشمس في وطني
ماذا تقول الشمس ؟
هل أنت ميّنة بلا كفن
وأنا بدون القدس ؟

طلعتُ من الوادي
يُقال تضاعل الوادي وغابُ
وجمالها السريّ لفَّ سنابل القمح الصغيرة
حلَّ أسئلة التراب.

هل تذكرون الصيف يا أبناء جيلي
يا كلَّ أزهار الجليل
وكلَّ أيتام الجليل
هل تذكرون الصيف يصعد من أناملها
ويفتح كلَّ باب.

قالت بنفسجة لجارتها
عطشتُ،

وكان عبد الله يسقيني
فمن أخذ الشباب من الشباب ؟
طلعتُ من الوادي
وفي الوادي تموت . .

ونحن نكبر في السلاسل
طلعت من الوادي مفاجأة
وفي الوادي تموت على مراحل .
ونمرُّ عنها الآن جيلاً بعد جيل.
ونبيع زيتون الجليل بلا مقابل
ونبيع أحجار الجليل
ونبيع تاريخ الجليل
ونبيعها.

كي نشترى في صدرها شكلاً
لمقتولٍ يقاتل.

لم أعترف بالحبِّ عن كُتبٍ
فليعترف موتي
وظفولتي - طروادة العرب

تمضي . . و لا تأتي

كلُ الخناجر فيك،

فارتفعي

يا خضرة الليمون

وتوهجي في الليل

واتسعي

لبكاء مَنْ يأتون

الريحُ واقفة على خنجرٍ

ودماؤنا شفقٌ

لا تحرقني مندليك الأخضر

الليل يحترقُ

طوبى لمن نامت على خشبة

ملء الردى . . حيّه

طوبى لسيف يجعل الرقبة

أنهار حريّه!

لم نعترف بالحبّ عن كذبٍ

فليغضب الغضبُ

نمشي إلى طروادة العرب

والبعد يقتربُ.

لا تذكرينا

حين نفلتُ من يديك

إلى المنافى الواسعها

أنا تعلّمنا اللغات الشائعة

ومتاعب السّفر الطويل

إلى خطوط الاستواء

والنوم في كل القطارات البطينه والسريعه

والحُبَّ في الميناء . .

والغزلَ المعدَّ لكل أنواع النساء

أنا تعلمنا صداقة كل جرح

ومصارع العشاق

والشوق الملعب

والحساء بدون ملح

يا أيها البلد البعيد

هل ضاع حبي في البريد ؟

لا قبلة المطاط تأتينا

ولا صدأ الحديد

كلُّ البلاد بلادنا

ونصيبتنا منه . . يريد !

لا تذكرينا

حين نفلتُ من يديك

إلى السجون

إنّا تعلمنا البكاء بلا دموع

وقراءة الأسوار والأسلاك والقمر الحزين

حرية . .

وحمامة . .

ورضا يسوع .

وكتابة الأسماء:

عائشة تودّع زوجها

وتعيشُ عائشة . .

تعيش روائح الدم والندى والياسمين

يا أيها الوجه البعيد
قتلوك في الوادي،
وما قتلوك في قلبي
أريدك أن تعيد
تكوين تلقائيتي
يا أيها الوجه البعيد !

ولتذكرينا .
حين نبحت عنك تحت المجزرة
وليبق ساعدك المظل على هدير البحر
والدم في الحقائق
وعلى ولادتنا الجديدة .
قنطرة!
ولتبق كل زنايق الكف النديّة
في حديقتها
فإنّا قادمون
من يشتري للموت تذكرة سوانا
اليوم . . من!
نحن اعتصرنا كل غيم خرائط الدنيا
وأشعار الحنين إلى الوطن
لا ماؤها يروي
ولا أشواقها تكوي
ولا تبني وطن.

ولتذكرينا . .
نحن نذكرك اخضراراً طالعاً من كل دم
طين . . ودم
شمس . . ودم

زهر . . ودم
ليل . . ودم
وسنشتهيك-
وأنت طالعة من الوادي
ونازلة إلى الوادي
غزالاً سابحاً في حقل دم
دم
دم
دم . .

يا قبلة نامت على سكين
تفاحة القبل
من يذكر الطعم الذي يبقى-
ولا تبقين-
كحديقة الأمل !
-إنّا كبرنا أيّها المسكين
قالت لي الدنيا .
و حبيبتي؟
*لا يكبر الموتى
وأقماري؟
*سقطت مع الدار
يا قبلة نامت على سكين
هل تذكرين فمي؟
أني أحبك حين تحترقين
هل تحرقين دمي !
كالزنبق اللاذع
وأحب موتك حين يأخذني
إلى وطني
كالطائر الجائع
يا قبلة نامت على سكين .

البرتقال يضيء غربتنا

البرتقال يضيء

والياسمين يثير عزلتنا

والياسمين بريء

يا قبلة نامت على سكين.

تستيقظين على حدود الغد

تستيقظين الآن

وتبعثرين الساحل الأسود

كالريح والنسيان

يا قبلة نامت على سكين

كبر الرحيل

كبر اصفرار الورد يا حبي القليل

كبر التسكع في ضياء العالم المشغول عني

كبر المساء على شوارع كل منفى

كبر المساء على نوافذ كل سجن

وكبرت في كل الجهات

وكبرت في كل الفصول .

وأراك

تبتعدين . . تبتعدين في الوادي البعيد

وتغادرين شفافنا

وتغادرين جلودنا

وتغادرين . .

وأنت عيد.

وأراك

أشجار النخيل

سقطت .

وماذا قال عبد الله؟

في الزمن البخيل

يتكاثر الأطفال والذكرى وأسماء الإله.

وأراك
كلّ يد تصيح هناك آه
كنا صغاراً
كانت الأشياء جاهزة
وكان الحبُّ لعبةً .
وأراك
وجهي فيك يعرفني
ويعرف كلَّ حبةٍ
من شاطئ الرمل الكبير
وأنت تبتهدين عني
والموتُ لعبةً .
وأراك .
أحنت غابة الزيتون هامتها
لريح عابرة
كل الجذور هنا
هنا
كل
الجذور
الصابرة
فلتحترق كل الرياح السود
في عينين معجزتين
يا حبي الشجاع.
لم يبق شيء للبكاء
إلى اللقاء
إلى اللقاء.
كبرت مراسيم الوداع
والموت مرحلة بدأنها
وضاع الموت
ضاع.

في ضجة الميلاد
فامتدي
من الوادي إلى سبب الرحيل
جسدا على الأوتار يركض
كالغزال المستحيل..

مرة أخرى

مرّة أخرى
ينامُ القتلةُ
تحت جلدي
وتصير المشنقةُ
علماً
أو
سنبلةً
في سماء الغابة المحترقة

حذَفَ الظلُّ يديها من جبیني
فاختبأنا في الظهيرة

مرّةً آخر
يمرُّ العسكريُّ
تحت جلدي.
مرة أخرى
يُؤاري شفّتي
في تجاعيد النشيد الوطني !

حذف الظلُّ يديها من جبیني
فاختبأنا في الظهيرة.

مرّةً أخرى
يفرّ الشهداءُ
من أغاني الشعراء.

مرةً أخرى
نزلت عن صليبيّنا
فلم نعثر على أرض
ولم نبصر سماءً

حذف الظلُّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيرة
مرةً أخرى
اتّحدنا

أنا والقاتل والموت المعاد
أصبحت حريّتي عبناً
على قلبي
وعيناها منافي وبلاد
مرةً أخرى
يضيع الماء في الغيم
ونُدعى للجهاد .. !

حذف الظلُّ يديها من جبيني
فاختبأنا في الظهيرة.

قتلوا في الظهيرة
بدلاً مني،
ولم يعتقلوني
مرةً أخرى
لأنَّ القتلَ
تحت جلدي ..

أغنية إلى الريح الشمالية

قُبْلُ مجفَّفةً على المنديلِ
من دار بعيدة
ونوافذ في الريح،
تكتشف المدينة في القصيدة.
كان الحديث سُدَى عن الماضي
وكسّرني الرحيلُ
وتقاسمتني زرقَةُ البحر البعيد.
وخضرة الأرض البعيدة.
أماه! . وانتحرت بلا سبب
عصافير الجليل .
يا أيها القمر القريب من الطفولة والحدود
لا تسرق الحلم الجميل
من غرفة الطفل الوحيد
ولا تسجّل فوق أحذية الجنود
إسمي وتاريخي _
سألتك أيّها القمر الجميل.
هربت حقولُ القمح من تاريخها
هرب النخيل.
كان الحديث سُدَى عن الماضي
وكان الأصدقاء
في مدخل البيت القديم يسجّلون
أسماء موتاهم
وينتظرون بوليساً
وطوق الياسمين .

قُبْلُ مجفَّفةٌ على المنديل
من دار بعيدة.
ونوافذ في الريح تكسر جبهتي
قرب المساء.
كان البريد يعيد ذاكرتي من المنفى
ويبعثني الشتاء
غصناً على أشجار موتانا
وكان الأصدقاء
في السجن. .
كانوا يشتررون الضوء
والأمل المهرَّب
والسجائر
من كل سجان وشاعر.
كانوا يبيعون العذاب لأي عصفور مهاجر
ما دام خلف السور حقل من ذرة
وسنابل تنمو. .
بلادي خلف نافذة القطار
تفاحة مهجورة،
ويدان يا بستان كالدفلى. .
كأسماء الشوارع. .
كالحصار.
بالقيد أحلم،
كي أفسر صرختي للعابرين
بالقيد أحلم،
كي أرى حرّيتي، وأعدّ أعمار السنين
بالقيد أحلم،
كيف يدخل وجه يافا في حقيبته
بيني وبينك برهة في زى مشنقة
ولم أشنق. . فعدت بلا جبين.
بيني وبين البرهة امتدّت عصور

بالقيد أحلم،
كيف يدخل وجه يافا في حقيبه. !

قُبْلُ مجففة على المنديل
من دار بعيدة.
ونوافذ في الريح، يا ريح الشمال
ردّي إلى الأحباب قُبْلَتهم
ولا تأتي إلي!
من يشتري صدر المسيح
ويشتري جلد الغزال
ومعسكرات الاعتقال
ديكور أغنية عن الوطن المفتت في يدي. !
كان الحديث سدى عن الماضي،
وكان الأصدقاء
يضعون تاريخ الولادة بين ألياف الشجر
ودعّتهم. .
فنسيت خاصرتي وحنجرتي وميعاد المطر
وتركتُ حول زنودهم قبدي
فصرت بدون زند، واختصمت مع الشجر
والأصدقاء هناك ينتظرون بوليساً
وطوق الياسمين
وأنا أحاول أن أكون
ولا أكون. .

أغنيات حب إلى أفريقيا

-1-

هل يأذن الحُرَّاس لي بالاحتناء
فوق القبور البيض يا إفريقيا؟
أَلَقْتُ بنا ريح الشمال إليك
واختصر المساء
أسماءنا الأولى..
وَكُنَّا عاندين من النهار
بكآبة التنقيب عن تاريخنا الآتي
وَكُنَّا متعبين.
ضاع المغني والمحاربُ والطريق إلى النهار
-من أنت؟
*عصفور يجفُّ ريشه الدامي
-وكيف دخلت؟
*كان الأفق مفتوحاً
وكان الأوكسجين
ملء الفضاء
-وما تريد الآن؟
*ريشة كبرياء
وأريد أن أرث الحشائش والغناء
فوق القبور البيض.. يا إفريقيا!

-2-

هل يأذن الحراس لي بالاقتراب
من جُنة الأبنوس . يا إفريقيا ؟
ألقت بنا ريح الشمال إليك،
واختبأ السحابُ
في صدرك العاري،
ولم تُعلن صواعقنا حدود الاغترابِ
والشمسُ بالمجان مثل الرمل والدم،
والطريق إلى النهار
يمحو ملامحنا، ويتركنا نعيد لانتظار
صفاً من الأشجار والموتى . .
تحبك . .
نشتهي الموت المؤقت
نشتهيهِ ويشتهينا .
نلتف بالمدن البعيدة والبحار
لنفسر الأمل المفاجئ
والرجوع إلى المرايا
-من أنت ؟
*جندي يعود من التراب
بهزيمة أخرى وصورة قائد
-ماذا تريد؟
*بيتاً لأمعائي وطفلاً من حديد
وأريد صكّ براءتي
وأريد يا إفريقيا
-ماذا تريد؟
أريد أن أرث السحاب
من جُنة الأبنوس . يا إفريقيا
ألقت بنا ريح الشمال إليك
يا إفريقيا

أَلَقْتُ بِنَا رِيحَ الشَّمَالِ
لنكون عُشَّاقًا وَقَتْلَى.
وَبِدُونِ ذَاكِرَةٍ ذَكَرْنَا كُلَّ شَيْءٍ عَنْ مَلَامِحِنَا
وَوَجْهَكَ فَوْقَ خَارِطَةِ الظَّلَالِ
مَرَّ الْمَغْنِيِّ تَحْتَ نَافِذَةٍ
وَحَبَّأَ صَوْتَهُ فِي رَاحَتِيهِ
سِرًّا يَحْبُكُ، أَوْ عَلَانِيَةً يَمُرُّ
وَيَنْحِنِي كَالْقَوْسِ. يَا إِفْرِيقِيَا
وَحْشِيَّتَانِ
عَيْنَاكَ - يَا إِفْرِيقِيَا - وَحَزِينَتَانِ
عَيْنَاكَ كَالْحَبِّ الْمَفَاجِئِ
كَالْبِرَاءَةِ حِينَ تُفْتَرَعُ الْبِرَاءَةُ
مَرَّ الْمَغْنِيِّ تَحْتَ نَافِذَةٍ
وَأَعْلَنَ يَأْسَهُ
-مَنْ أَنْتَ؟
عَاشِقٌ*
-مَنْ أَيْنَ جِئْتَ؟
*أَنَا مِنْ سَلَالَاتِ الزَّنَابِقِ وَالْمَشَانِقِ
وَالرَّيْحِ تَحِيلٌ. . ثُمَّ تُتَجَبَّنِي
وَتُرْمِنِي عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ
-مَاذَا تُرِيدُ؟
*أُرِيدُ مِيلَادًا جَدِيدًا
وَأُرِيدُ نَافِذَةً جَدِيدَةً
لأَحْبَبَهَا سِرًّا وَتَقْتُلَنِي عَلَانِيَةً
وَأَرْحَلُ عَنْكَ. . يَا إِفْرِيقِيَا!

المدينة المحتلة

الطفلة احترقت أمها
أمامها .
احترقت كالمساء .
وعلموها : يصير اسمها -
في السنة القادمة -
سيّدة الشهداء
وسوف تأتي إليها
إذا وافق الأنبياء !

الطفلة احترقت أمها
أمامها .
احترقت كالمساء .
من يومها ،
لا تحبُّ القمر
ولا الدُمى
كلما
جاء المساء ، صرخت كلها :
أنا قُلتُ القمر
لأنه قال لي : قال . . قال :
أمك لا تشبه البرتقال
ولا جذوع الشجر

أُمَّكَ فِي الْقَبْرِ
لَا فِي السَّمَاءِ.

الطِفْلَةُ احْتَرَقَتْ أُمُّهَا
أَمَامَهَا. .
احْتَرَقَتْ كَالْمَسَاءِ. .

عابر سبيل

بلادي بعيدة
تبخر مني ثراها
إلى داخلي . .
لا أراها
وأنت بعيدة
أراك

كومضة ورد مفاجئ
وفي جسدي رغبة في الغناء
لكل الموائى.
. واني أحبك

لكنني
لا أحب الأغاني السريعة
ولا القبل الخاطفة
وأنت تحبينها
كبحارة يائسين . .

أرى عبر زنبقة المائدة
وعبر أناملك الشاردة
أرى البرق يخطف وجهي
القديم

إلى شرفة ضائعة
وأنت تحبينني-
قلت-

من أجل هذا المساء.

لنرقصُ إذن،
أنا الماء والظلّ
والظل والماء لا يعرفان الخيانة
ولا الاتكسارُ
ولا يذكران
ولا ينسيان
ولكن . . لماذا ؟
لماذا توقفت الأسطوانة ؟
ومن خدش الأسطوانة
لماذا تدور على نفسها :
بلادي بعيدة
بلادي
بلادي
بلادي

خطوات في الليل

دائماً،
نسمع في الليل خطى مقتربة
ويفر الباب من غرفتنا
دائماً،
كالسحب المغترية !

ظلك الأزرق من يسحبه
من سريري كل ليلة ؟
الخطى تأتي، وعيناك بلاد
وذراعاك حصاراً حول جسمي
والخطى تأتي
لماذا يهرب الظل الذي يرسمني
يا شهرزاد ؟
والخطى تأتي ولا تدخل
كوني شجراً
لأرى ظلك
كوني قمراً
لأرى ظلك
كوني خنجراً
لأرى ظلك في ظلي
ورداً في رماد.. !

دائماً،

أسمعُ في الليل خُطىً مقتربةً

وتصيرين منافيَّ

تصيرين سجوني . .

حاولي أن تقتليني

دفعَةً واحدةً

لا تقتليني

بالخطى المقتربة. !

سرحان يشرب القهوة في الكفاتيريا

يجيئون،

أبوابنا البحر، فاجأنا مطر. لا إله سوى الله. فاجأنا
مطر و رصاص. هنا الأرض سُجّادة، و الحقائق
غريه!

يجيئون،

فلنترجل كواكب تأتي بلا موعد. و الظهور التي
استندت للخناجر مضطرة للسقوط.

و ماذا حدث ؟

أنت لا تعرف اليوم. لا لون. لا صوت. لا طعم
لا شكل. . يولد سرحان، يكبر سرحان،
يشرب خمراً و يسكر. يرسم قاتله، و يمزق
صورته. ثم يقتله حين يأخذ شكلاً أخيراً.

و يرتاح سرحان :

سرحان ! هل أنت قاتل ؟

و يكتب سرحان شيئاً على كُـم معطفه، ثمّ تهرب
ذاكرة من ملف الجريمة. . تهرب. . تأخذ
منقار طائر.

و تأكل حبة قمح بمرج بن عامر.

و سرحان مُتهم بالسكوت، و سرحان قاتل

و ما كان حُبًّا

يدان تقولان شيئاً، و تنطفئان.

قيودٌ تلد

سجون تلد

منافٍ تلد.

و نلتفُّ باسمك،

ما كان حُبًّا

يدان تقولان شيئاً . . و تنطفئان . .

ونعرف، كُنَّا شعوباً ، و صرنا حجارةً

و نعرف، كنت بلادا و صرت دخان

و نعرف أشياء أكثر

نعرف، لكن كل القيود القديمة

تصير أساور ورد

تصير بكاره

في المنافي الجديدة.

و نلتفُّ باسمك

ما كان حُبًّا

يدان تقولان شيئاً و تنطفئان .

و سرحان يكذب حين يقول رضعتُ حليبك، سرحان

من نسل تذكرة، و تربى بمطبخ باخرة لم تلامس

مياهاك. ما اسمك ؟

-نسيت.

و ما اسم أبيك ؟

-نسيت

و أمك

-نسيت

و هل نمت ليلة أمس ؟

-لقد نمت دهرًا.

حلمت ؟

-كثيراً

بماذا ؟

بأشياء لم أرها في حياتي

و صاح بهم فجأة:

-لماذا أكلتم خضاراً مُهرَّبة من حقول أريحا ؟

-لماذا شربتم زيوتاً مُهرَّبة من جراح المسيح ؟

و سرحانُ مُتهم بالشذوذ عن القاعدة

رأينا أصابعه تستغيث. و كان يقيس السماء بأغلاله
زرقة البحر يزجرها الشرطي، يعاونه خادم آسيوي.
بلاد تغير سكانها، و النجوم حصى
و كان يغني : مضى جيلنا و انقضى .
مضى جيلنا و انقضى .

و تناسل فينا الغزاة تكاثر فينا الطغاة دم كالمياه،
و ليس تجففه غير سورة عم و قبعة الشرطي
و خادمه الآسيوي . و كان يقيس الزمان بأغلاله.
سألناه: سرحان عمّ تساءلت؟

قال: اذهبوا. فذهبنا
إلى الأمهات اللواتي تزوجن أعداءنا.
و كنّ ينادين شيئاً شبيهاً بأسمائنا .

فيأتي الصدى حرساً.

ينادين قمحاً.

فيأتي الصدى حرساً.

ينادين عدلاً.

فيأتي الصدى حرساً

ينادين يافا

فيأتي الصدى حرساً.

و من يومها، كفت الأمهات عن الصلوات ، و صرنا
نقيس السماء بأغلالنا.

وسرحان يضحك في مطبخ الباخرة
يعانق سائحة، و الطريق بعيد عن القدس و الناصرة
وسرحان متهم بالضياح و بالعدمية

و كلُّ البلاد بعيدة.
شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني
و عزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان)

ورائحة البنّ جغرافيا.

و ما شرّدوك.. و ما قتلوك .

أبوك احتّمى بالنصوص، و جاء اللصوص.

و لست شريداً. . و لست شهيداً . و أمك باعت

صفائرها للسنايل و الأمنيات: (و فوق سواعدنا

فارس لا يسلم) وشم عميق). و فوق أصابعنا

كرمة لا تهاجر (وشم عميق)

خطى الشهداء تُبيدُ الغزاة

(نشيد قديم)

ونافدتان على البحر يا وطني تحذفان المنافي . وأرجع

(حلم قديم - جديد)

شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني

وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان)

ورائحة البنّ جغرافيا.

ورائحة البن يد

ورائحة البن صوت ينادي. . و يأخذ. .

رائحة البن صوت و مئذنة (ذات يوم تعود)

ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب. ينكمش

وسرحان يحمل أرصفةً ونوادي ومكتب حجز التذاكر.

سرحان يعرف أكثر من لغة و فتاة. و يحمل تأشيرة

لدخول المحيط و تأشيرة للخروج و لكن سرحان

قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها. . و سرحان

قطرة دم تفتش عن جثة نسيته. . و أين ؟

ولست شريداً.. و لست شهيداً.

ورائحة البن جغرافيا .

وسرحان يشرب قهوته . .

ويضيع.

يُمَزَّقُ غَيْمًا، و يرسله في اتجاه الرياح. و ماذا؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة. لا بُدَّ من تربة صالحة.
أتذهب صيحاتنا عبثاً ؟
أكلتَ . . شربتَ . . و نمتَ . . حلمت كثيراً . أفقتُ
تعلمت تصريف فعل جديد. هل الفعل معنى بآنية
الصوت.. أم حركة ؟
وتكتب ض. ظ. ق. ص. ع. وتهرب منها، لأن
هدير المحيطات فيها و لا شيء فيها ضجيج الفراغ
حروف تميزنا عن سوانا - طلعا عليهم طلوع
المنون - فكانوا هباء و كانوا سدىً. سدىً نحن
هم يحرثون طفولتنا و يصكون أسلحةً من أساطير
أعلامهم لا تغني و أعلامنا تجهضُ الرعد. نقصفهم بالحروف
السمينة : ض. ظ. ق. ص. ع ثم نقول انتصرنا و ما
الأرض؟ ما قيمة الأرض؟ أترية ووحول. نقاتل أو لا نقاتل ؟
ليس مهماً سؤالك ما دامت الثورة العربية محفوظةً في الأناشيد
والعيد و البنك و البرلمان.
وتعرف أن الغزاة عَصِيَّ بأيدي الممالك تكتب
ض . ظ . ق . ص . ع
تمزق غيمًا و ترسله في اتجاه الرياح . و ماذا ؟ هنالك
غيم شديد الخصوبة. لا بد من تربة صالحة.
وتمضي السفينة. تبقى غريباً. جراحك مطبوعة للبلاغات
والتوصيات. و باسك تنتصر الأبجدية، باسمك
يجلس عيسى إلى مكتب ويوقع صفقة خمر و أقمشة
ويحيى العساكر باسمك. تُحفظ في خيمة
وتُعَلَّب في خيمة. لا هوية إلّا الخيام. إذا
احترقت. . ضاع منك الوطن.
وباسمك تأتي و تذهب. باسمك حِطِينُ تصبح مزرعةً
للحشيش، و ثوَّارك السابقون سعاة بريد. وباسمك
لا شيء .يأتي القضاة، يقولون للطين كن جبلاً

شامخاً فيكون. يقولون للترعة انتفخي أنهرأ فتكون

و تكتب ض. ظ. ص. ع. ق.

تمزق غيماً و ترسله في اتجاه الرياح. و ماذا؟

هنالك غيم شديد الخصوبة. لا بد من تربة صالحة

أذهب صيحاتنا عبثاً ؟

وليست خيامك ورد الرياح. و ليست مظلات شاطئ.

تدجج بأعمدة الخيمة. احترقي يا هويتنا - صاح لاجئ.

وسرحان يشرب قهوته. للجليل مزايا كثيرة.

و يحلم، يحلم، يحلم. . آه - الجليل !

وَمَنْ كَفَّ يَوْمًا عَنِ الْإِحْتِرَاقِ

أَعَارَ أَصَابِعَهُ لِلضَّمَادِ

وَصَرَاحٍ لِلصَّحْفِيِّ وَاللَّعْدَسَاتِ:

جَرِيحٌ أَنَا يَا رِفَاقَ

و نَالٍ وَسَامًا . و عاد.

و سِرْحَانُ،

مَا قَالَ جَرِحِي قَنْدِيلُ زَيْتٍ و مَا قَالَ.

صَدْرِي شَبَّاكَ بَيْتٍ و مَا قَالَ .

جَلْدِي سَجَادَةً لِلْوَطَنِ.

وَمَا قَالَ شَيْئًا.

أَتَذْهَبُ صِيحَاتِنَا عَيْثَا ؟

كُلُّ يَوْمٍ نَمُوتُ، وَ تَحْتَرِقُ الْخَطَوَاتُ وَ تُولَدُ عُنُقَاءُ

نَاقِصَةٌ، ثُمَّ نَحْيَا لِنُقْتَلَ ثَانِيَةً.

يَا بِلَادِي، نَجِيئُكَ أُسْرَى وَ قَتْلَى.

وَسِرْحَانُ كَانَ أُسِيرَ الْحُرُوبِ، وَ كَانَ أُسِيرَ السَّلَامِ.

عَلَى حَائِطِ السَّبْيِ يَقْرَأُ أَنْبَاءُ ثَوْرَتِهِ خَلْفَ سَاقِ مَغْنِيَّةٍ

وَالْحَيَاةُ طَبِيعِيَّةٌ، وَالْخَضَارُ مَهْرَبَةٌ مِنْ جِبَاهِ الْعَبِيدِ

إِلَى الْخُطْبَاءِ. وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَجَارَةِ وَ الشَّهْدَاءِ ؟

وَسِرْحَانُ كَانَ طَعَامَ الْحُرُوبِ، وَ كَانَ طَعَامَ السَّلَامِ.

عَلَى حَائِطِ السَّبْيِ تَعْرُضُ جَثَّتُهُ لِلْمَزَادِ. وَفِي الْمَهْجَرِ

الْعَرَبِيُّ يَقُولُونَ : مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْغَزَاةِ وَ بَيْنَ الطَّغَاةِ ؟

وَسِرْحَانُ كَانَ قَتِيلَ الْحُرُوبِ، وَ كَانَ قَتِيلَ السَّلَامِ.

عَلَى حَائِطِ السَّبْيِ يَصْطَدِمُ الْعِلْمُ الْوَطَنِي بِأَحْذِيَةِ الْحَرَسِ

الْمَلِكِيِّ . وَحَرْبُكَ حَرْبَانِ. حَرْبُكَ حَرْبَانِ

سِرْحَانُ ! لَا شَيْءَ يَبْقَى، وَ لَا شَيْءَ يَمْضِي. اغْتَرِبْتَ .

لَجَأْتَ . . عَرَفْتَ. وَ لَسْتُ شَرِيدًا وَ لَسْتُ شَهِيدًا

خِيَامُكَ طَارَتْ شَرَارُهُ.

و في الريح مَتَّسَعٌ

هل قَتَلْتَ ؟

و يسكت سرحان. يشرب قهوته و يضع. و يرسم

خارطة لا حدود لها و يقيس الحقول بأغلاله

-هل قتلْتَ ؟

وسرحان لا يتكلم. يرسم صورة قاتله من جديد،

يمزقها، ثم يقتلها حين تأخذ شكلاً أخيراً. .

-قتلت ؟

ويكتب سرحان شيئاً على كُمِّ معطفه، ثم تهرب

ذاكرة من ملف الجريمة. . تهرب. . تأخذ منقار

طائر.

و تزرع قطرة دم بمرج بن عامر.